المرأة المسلمة وطلب العلم

لقد وضعت بين يدي المرأة المسلمة أمثلة لعلماء ربانيين ربتهم وصنعتهم نساء مسلمات، وليس معنى هذا إن تربية العلماء هي المساهمة التي يمكن أن تقدمها المرأة المسلمة في مجال نشر العلم وخدمة سنة المصطفىﷺ، بل إن المرأة المسلمة تصدت في القرون الفاضلة وعلى مرّ العصور لفنون العلم المختلفة وأمعنت في ذلك إمعاناً أعيا على الرجل أن يدركه في مواطن كثيرة. فقد كانت تطلب العلم وتجلس للفُتيا وتنشر سنة المصطفىﷺ وكافة العلوم النافعة على مر العصور، وليس هذا غريباً على المرأة المسلمة وهي التي علمت كيف حث الإسلام على طلب العلم وكيف أن أول أمر رباني جاء به الوحي كان: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥] وهكذا حملت المرأة المسؤولية كاملة مع الرجل لنشر العلم وتعلمه وتعليمه، فكانت صانعة للعلماء الربانيين وكانت عالمة فقيهة تعلم العلم للنساء والرجال فتكون بذلك صانعة أيضاً للعلماء والعالمات الصالحات.

وكيف لا تطلب المرأة المسلمة العلم وقد سمعت قول

النبيﷺ عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: من صدقة جارية أو علمٌ ينتفع به بعده أو ولد صالح يدعو له**»[١].

فكيف لا تحرص المرأة المسلمة على هذه الأبواب الثلاثة ـ ومنها العلم النافع لغيرها ـ تلك الثلاثة التي كل واحدة منهم امتداداً لعمرها بعد وفاتها، فبقدر ما اهتمت المرأة المسلمة بصناعة الأولاد والبنات الصالحين اهتمت بالعلم النافع الذي ينفعها في حياتها، واهتمت بتعليم العلم وتدريسه للنساء بل وللرجال. منهن الأستاذات والمدرسات لأئمة أعلام مثل الإمام الشافعي والإمام البخاري وابن خلكان وابن حبان وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين[٢].

وجاء في طبقات الشافعية أن الإمام الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة أوثق رواة الحديث عقدة وأصدقهم حديثاً ـ حتى لقبوه بحافظ الأمة ـ كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء[٣].

فهل سمع الناس في عصر من العصور وأمة من الأمم أن عالماً واحداً يتلقى عن بضع وثمانين امرأة علماً واحداً؟ فكم ترى منهن من لم يلقها أو يأخذ عنها والرجل لم يجاوز

---

(١) انظر أطراف الحديث في صحيح مسلم (١٤) ك الوصية وأبو داود (٢٨٨٠) والترمذي (١٣٧٦) والنسائي (٦/ ٢٥١).
(٢) تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان (١/ ٢٧٧).
(٣) طبقات الشافعية (٤/ ٢٧٣).

الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية فلم تطأ قدماه أرض مصر ولا بلاد المغرب ولا الأندلس وهي أحفل ما تكون بذوات العلم والرأي من النساء[١]. ولقد وُجد على مر القرون نساء تجاوزن علوم فرض العين إلى فروض الكفاية فكانت منهن المحدثات العظيمات والراويات الثقات. وهذا الإمام محمد بن سعد صاحب الطبقات بعقد جزءاً من كتاب: «الطبقات الكبرى» لراويات الحديث من النساء أتى فيه على نيِّف وسبعمائة امرأة روين عن رسول الله ﷺ وعن صحابته رضي الله عنهم، وروى عنهم أعلام الدين وأئمة الإسلام. وهل نجد موطناً أوثق ومُرتقى أسمىٰ ومنزلة أوثق من أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وهو العلم الأشم الذي لا يدانيه أحد في علمه وحكمته وقربه من رسول الله ﷺ ـ يتلقى الحديث على مولاة لرسول الله ﷺ كانت تقوم على خدمته هي ميمونة بنت سعد[٢] فكيف بمن هو دون علي رضي الله عنه.

وهكذا وقفت المرأة المسلمة كالطود الشامخ في مجال العلم والتعليم، كما كانت كالطود الشامخ في مجال صناعة العلماء والأبطال. فها هو الإمام أبو مسلم الفراهيدي المحدث يكتب عن سبعين امرأة[٣].

وها هي المرأة المسلمة يتلمذ على يديها رجال علماء:

---

(١) المرأة العربية لعبد الله عفيفي ص١٣٩.
(٢) الإصابة (٧/ ١٧٣).
(٣) من أخلاق العلماء هامش ص٣٤٥.

● فأم سلمى فاطمة بنت أبي بكر بن عبد الله: روت عن أبيها وكتب عنها محمد بن جعفر كتاب «الجمل»[١].

● وفاطمة بنت جوهر من تلاميذها الحافظ ابن قيم الجوزية.

● وست القضاة بنت الشيرازي تتلمذ عليها الحافظ ناصر الدين الدمشقي والقاضي الإمام أحمد بن فضل الله العمري[٢].

● وزينب ابنة الكمال من تلاميذها الإمام محمد بن حزم الحسيني[٣].

وها هو الحافظ ابن حجر يحصل على إجازة من امرأة وهي السيدة زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلية ابنة الإمام شرف الدين عبد الله أخي شيخ الإسلام ابن تيمية وزوجة الإمام أبو محمد عبد الوهاب بن السلّار[٤].

● ووزيرة بنت عمر بن المنجى ومن تلاميذها الإمام محمد بن سوار السبكي[٥].

● وزينب بنت مكي وممن سمع عليها الحافظ أحمد بن

(١) المرأة ومكانتها ص٥٧.
(٢) الرد الوافر ص٨١.
(٣) الرد الوافر ص٥٥.
(٤) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص١١٠.
(٥) المصدر السابق ص٥٠.

بكار النابلسي وعمر بن حبيب[١].

ومن تلاميذها أيضاً الإمام الحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي[٢].

● ووزيرة بنت عمر بن المنجى من تلاميذها الإمام محمد بن سوار المبكي[٣].

● والسيدة سيدة ابنة الكمال ومن تلاميذها الإمام محمد بن حمزة الحسيني[٤].

● وزينب بنت مكي سمع عليها الحافظ أحمد بن بكار النابلسي وعبد الله بن المحب وعمر بن حبيب وكثير من المحدثين[٥].

وقد شهد الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله مجالس حافلة قرأ فيها على بعض المحدثات الحافظات الفقيهات، فتراه يختم كتابة «بغية الوعاة» بمسلسلات قرأ منها على الأصيلة الثقة الخيرة الفاضلة الكاتبة أم هانىء بنت الحسن الهوريني وعلى هاجر بنت محمد المصرية، وأخبرته الشيختان المسندتان أم هانىء وأم الفضل بنت محمد المقدسي. ويقول أنه قرأ على

(١) المصدر السابق.
(٢) الرد الوافر ص١١٠.
(٣) الرد الوافر ص٥٠.
(٤) المصدر السابق ص٥٥.
(٥) المصدر السابق ص٨٠ ـ ١٠١.

obeikandl.com

الأصيلة نشوان بنت عبد الله الكناني وأخبرته كمالية بنت محمد بن أبي بكر الجرجاني وأنبأته أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبى وأخبرته أمة العزيز بنت محمد الأمباسي وفاطمة بنت علي بن اليسير شافهها بالفسطاط وغيرهن كثير[١].

وقال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله: «وقد رأيت بنفسي وأنا مدرس بالإحساء نسخة لسنن أبي داود عند آل المبارك وعليها تعليق لأخت صلاح الدين الأيوبي»[٢].

وهكذا صنعت المرأة المسلمة بتربيتها العلماء، وهكذا صنعت المرأة المسلمة بعلمها العلماء.

ولقد امتازت «العالمة المسلمة» بالصدق في العلم والأمانة في الرواية، والحيدة عن مواقع التهم ومساقط الظُّنن، مما لم يوفق إليه كثيرون من الرجال. وشهد على هذا الصدق للعالمة المسلمة الحافظ الذهبي المتوفّى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وهو ثقة من ثقات المسلمين وعظيم من عظماء المحدثين، ألّف كتابه «ميزان الاعتدال» في نقد رجال الحديث خرَّج فيه أربعة آلاف متَّهم من المحدثين ثم أتبع قوله بتلك الجملة التي يشهد فيها للمرأة المسلمة بالصدق في نقل العلم ورواية الحديث قال: وما علمت من النساء من اتُّهمت ولا من تركوها[٣]. ولعل قائلاً يقول: «وما للنساء ورواية الحديث؟

(١) من أخلاق العلماء ص٣٤٥.
(٢) المصدر السابق ص٣٤٦.
(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٦٠٤).

وهل تركهن الذهبي إلا من قلة أو ذلة؟» والجواب: أن حديث رسول الله ﷺ منذ عهد عائشة رضي الله عنها حتى عهد الذهبي ما حُفظ ولا روى بمثل ما حفظ في قلوب النساء وروى على ألسنتهن فعائشة أم المؤمنين روت الألوف من أحاديث رسول الله ﷺ. ولم يزد عنها غير أبي هريرة. وقد أحصى لها ابن حزم في جوامع السيرة عشرة أحاديث ومائتي حديث وألفين. ولم يلها في الإحصاء من أمهات المؤمنين غير أم سلمة رضي الله عنها فقد أحصى لها ابن حزم ثمانية وسبعين وثلثمائة حديث. وغيرهن من النساء اللاتي سوف نتعرض لسيرتهن بشيء من التفصيل لكي يعلم الجميع أن المرأة المسلمة اعتزت بالإسلام على مر العصور فبذلت في سبيله كل غالٍ وعملت على المساهمة في إعزازه بكل طريقة وإليك سيرة لبعض هؤلاء العالمات الصالحات:

obeikandl.com

١ ـ عائشة أم المؤمنين

هي الصديقة بنت الصديق العالمة الفقيهة.

وعلم السيدة عائشة وتفوقها في العلم والمعرفة لا ينكره إلا جاهل أو حاسد حاقد، وإذا كان العلم يثبت بشهادات العلماء وتقريرهم له، فإن علم عائشة الواسع قد أثبته لها وشهد لها به العديد من جهابذة العلم وأساطين المعرفة من رجالات السلف الصالح أولهم شهادة ابن أختها عروة بن الزبير لها بالتفوق والعلم حيث قال: «ما رأيت أحداً علم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة»(١).

وقال ابن شهاب الزهري: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبيﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»(٢).

وقال عطاء: «كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة».

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩ ـ ٥٦).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٤).

وعن عروة عن عبد الله بن الزبير قال: «ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا حرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها»[١].

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»[٢].

وقيل لمسروق: «كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: «والله لقد رأيت الأحبار من أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض»[٣].

وذكر أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: «أنها كانت وحيدة عصرها في ثلاثة علوم: علم الفقه وعلم الطب وعلم الشعر».

وقد ذكرها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقاته من جملة فقهاء الصحابة. ولما ذكر ابن حزم أسماء الصحابة الذين رويت عنهم الفتاوى في الأحكام قدّم عائشة على سائر الصحابة، وقال الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي الميانشي في كتاب «إيضاح ما لا يسع المحدث جهله»: «اشتمل كتاب البخاري ومسلم على ألف حديث ومائتي حديث من الأحكام، فروت عائشة من جملة الكتابين

(١) العلم والعلماء لأبي بكر الجزائري ص٢٤٤.
(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص٥٨.
(٣) «من أخلاق العلماء» لمحمد بن سليمان ص٦١.

مائتين ونيف وتسعين حديثاً لم يخرج عن الأحكام منها إلا يسير». قال الحاكم أبو عبد الله: «فحُمل عنها ربع الشريعة» ا.هـ[١] ولقد كانت أم المؤمنين عائشة من أنفذ الناس رأياً في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين، وكانت تستدرك على الصحابة ملاحظات فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى رأيها. ومن أمثلة ذلك ما استدركه على عبد الله بن عمر وقد كان قد وهم فقال: إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر إحداهن في رجب، فقالت عائشة: «يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو معه وما اعتمر في رجب قط»[٢].

وكانت كثيراً ما تقوم بتعديل سلوك من يُسرف في مجال من مجالات الدين مثل ما حدث بينها وبين أبي السائب قاصّ أهل المدينة: قالت عائشة لابن أبي السائب قاصي المدينة: «ثلاثاً تبايعني عليهن أو لأناجزنَّك. قال: ما هن؟ بل أبايعك يا أم المؤمنين قالت: اجتنب السجع في الدعاء فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك، وقُص على الناس في كل جمعة مرة فإن أبيت فثنتين فإن أبيت فثلاثاً فلا تمل الناس هذا الكتاب، ولا ألقينَّك تأتي القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم ولكن اتركهم فإذا جرؤك عليه وأمروك به فحدثهم[٣].

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ص٥٩.
(٢) الإجابة للزركشي ص١٠٤، ص١٠٥.
(٣) مسند أحمد (٦/٢١٧).

ولم يكن نفاذ رأي السيدة عائشة في الدين فقط، بل كان أمرها كذلك في التاريخ والعلم بحوادث الأمم، وإليك هذا المثال على مدى ما بلغت السيّدة عائشة من الإحاطة بحوادث الأمم ومشكلات التاريخ:

«لما وفد المسلمون إلى الحبشة مهاجرين، أوطنهم النجاشي موطناً كريماً فأوفدت إليه قريش عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بأعز ما لديهم من طرائف وتلاد وفي أنفسهم أن يبرأ من ذمة اللاجئين إليه ويعيدهم على أعقابهم. فردّ النجاشي على القوم هداياهم وقال: «لا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه» فحفظ الناس ذلك القول من ملك الحبشة ولم يعرفوا معناه حتى كانت عائشة هي التي حدثتهم خبره مما تعلم من تاريخ الحبشة فقالت: «إن أبا النجاشي كان ملك قومه ولم يكن له ولد سواه وكان للنجاشي عم له إثنا عشر رجلاً كلهم من صلبه فقالت الحبشة: لو أنا قتلنا الملك وولينا أخاه لَأَمِنَّا على المُلْكِ أن يضيع وعلى المَلِكِ أن ينقطع عَقِبة فعدوا على ملكهم فقتلوه وملَّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حيناً وكان ولد القتيل فتى أيِّدا حازماً لبيباً أديباً فغلب عمه على الملك، وأوجس القوم أن يثب على الملك فيأخذهم بأبيه فحملوا الملك على بيعة من تاجر بستمائة درهم فقذفه التاجر في سفينة وانطلق به حتى إذا كان العَشِيّ من ذلك القوم هاجت سحابة من سحب الخريف فخرج الملك يستمطر تحتها فأصابته صاعقة قتلته، ففزعت الحبشة إلى ولده فإذا هو مُحْمقٌ لا خير

في ولده ثم علموا أن لا مفزع لهم إلا إلى ابن ملكهم القتيل فخرجوا يطلبونه فجاؤوا به من صاحبه فعقدوا عليه التاج وعز على التاجر أن يضيع ماله وتذهب صفقته فاقتضى القوم حقه فجحدوا إياه فشكا أمره إلى الملك فقال: لتُعْطِنّهُ ماله أو لَيَضَعَنَّ غلامُه يده في يده فليذهبن به حيث شاء، فقالوا: بل نعطه ماله، قالت: فلذلك يقول ما أخذ الله مني رشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه»[١].

ذاك هو الحديث الذي خفي تفسيره عن ثلاثة وثمانين رجلاً وابتدرته عائشة حين سئلت عنه.

لقد كانت أم المؤمنين فصيحة بليغة وكانت تحسن أن تقرأ ولم يكن يعرف ذلك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله ﷺ.

وقد جاء في بيان فصاحتها وبلاغتها.

عن الأحنف بن قيس قال: «سمعت خطبة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فما سمعت الكلام من فِي مخلوق أحسن ولا أفخم من فِي عائشة رحمة الله عليهم أجمعين»[٢].

وعن سفيان قال: «سأل معاوية زياداً: أي الناس أبلغ؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين قال: أعزم عليك قال: إذا عزمت

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١١٣، ١١٤).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٦).

عليَّ فعائشة، فقال معاوية: ما فتحت باباً قط تريد أن تغلقه إلا أغلقته ولا أغلقت باباً قط تريد أن تفتحه إلا فتحته[١].

ولقد برعت رضي الله عنها في الطب ومما ورد في ذلك عن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة: أمَّتا لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس، لكن أعجب من علمك بالطب قال فضربت على منكبه وقالت:

«أي عروة إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثَّم»[٢].

وهكذا كانت السيدة عائشة ـ مثال للعالمة الفقيهة ملأت أرجاء الأرض علماً ونوراً وأنارت السبيل أمام أمة المصطفى ﷺ بروايتها وعلمها فرحمها الله ورضي الله عنها.

وصدق من قال: [البسيط]

العلمُ فيه حياةٌ للقلوبِ كَمَا
تَحيا البلادُ إِذَا مَا مَسَّها المطرُ

فرحم الله أم المؤمنين صانعة العلماء، رحم الله أم المؤمنين معلمة الخير لتحى بوحي السماء قلوب العلماء.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٧).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٤).

٢ ـ أم المؤمنين أم سلمة

هي السيدة المحجية الطاهرة هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية من المهاجرات الأُول، كانت قبل النبيﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي[١].

فهي من أمهات المؤمنين اللاتي اصطفاهن الله لصحبة النبي الأكرمﷺ فَنَهَلْنَ من علمه ونورهﷺ.

قال الذهبي: «كانت تعد من فقهاء الصحابيات»[٢].

وكانت من النساء العاقلات، ويظهر ذلك حين أشارت على النبيﷺ يوم الحديبية أن يتقدم الناس بنحر الهدى والحلق لما امتنعوا أن ينحروا ويحلقوا ليحلوا من الإحرام رغبة منهم في أن يدخلوا مكة غازين، فلما فعل النبي ما أشارت به أم سلمة قام الناس فنحروا وحلقوا[٣].

وقد روت الكثير من الأحاديث عن رسول اللهﷺ، أحصى

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٨).
(٣) الإصابة (٤/ ٤٤٠).

لها بقي بن مخلد وأبو محمد بن حزم ثمانية وسبعين وثلاثمائة حديث[١]، فهي تلي السيدة عائشة بالنسبة لما روته أمهات المؤمنين عن سيد المرسلين ﷺ، واتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر[٢].

ولقد بلغت السيدة أم سلمة في البلاغة والعقل مبلغ عظيم ولم تكن فصاحتها بأدنى من فصاحة السيدة عائشة، وقد أقدمت على عتابها حين أرادت الخروج إلى البصرة وكررت عتابها بأقوال هي غاية في البلاغة ومنها:

«إنك سدة بين رسول الله ﷺ وبين أمته فمتى أصيب ذلك الباب بشيء فقد دُخِل على رسول الله ﷺ في حريمه وحوزته واستبيح حماه، فلا تكوني أنت سبب ذلك الخروج الذي لا يجب عليك فتحوجي الناس إلى أن يفعلوا مثلك»[٣].

وهكذا تظهر بلاغة السيدة أم سلمة ورجاحة عقلها وصواب رأيها، وظهر ذلك أيضاً في مراقبتها للأحداث وجاء في ذلك ما حدَّثت به مرفوعاً: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن يفارقني» فقال لها عمر رضي الله عنه: بالله أنا منهم؟ قالت: لا ولن أبلى أحداً بعدك ـ أي لا أخبر بعدك أحد»[٤]. ولقد

(١) الإصابة (٤/ ٤٤١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٠).
(٣) النهاية (٢/ ٢٥٢).
(٤) المسند (١٦ ـ ٢٩).

أغرمت السيدة أم سلمة أم المؤمنين بفاطمة الزهراء وأولادها فتعقبت سيرتهم وأحوالهم وعاشت حتى بلغها مقتل الحسين فوجمت له وغشي عليها وحزنت عليه ولم تلبث بعده إلا قليلاً[١].

ورحلت أم المؤمنين أم سلمة وتركت لنا ما روته من أحاديث عن رسول الله ﷺ وكيف لا تنشر سنة المصطفى وقد قال الله لأمهات المؤمنين: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

رحم الله أم المؤمنين أم سلمة وجمعنا بها وبسائر الصالحات في مستقر رحمته.

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٢).

obeikandl.com

٣ ـ عمرة بنت عبد الرحمن

هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية النجارية، وهي سيدة جليلة من سيدات التابعيات عدَّها ابن أبي داود من سيدات التابعيات وهن:

«حفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبد الرحمن، وأم الدرداء الصغرى»[١].

وهي محدثة فقيهة كانت في حجر السيدة عائشة أم المؤمنين، فنشأت في أحضان العلم والتقوى فصارت من العالمات الثقات ومن سيدات التابعيات.

قال يحيى بن معين: «عمرة بنت عبد الرحمن ثقة حجة»[٢].

وقال العجلي: «مدنيّة تابعية ثقة وذكرها ابن حبان في الثقات وذكر ابن المديني عمرة ففخم أمرها»[٣].

---

(١) أعلام النساء (١/ ٢٧٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٧).
(٣) أعلام النساء (٣/ ٣٥٦).

ولقد روت الكثير عن السيدة عائشة، وروت عن حمنة بنت جحش، وأم سلمة وحبيبة بنت سهل ورافع بن خديج وغيرهم من المحدثين.

وقد أورد لها أحمد في مسنده فيما روت عن عائشة نحو من ثمانين حديثاً[١].

روى أيوب بن سعيد عن يونس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد أنه قال لي: «يا غلام أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى قال: عليك بعمرة فإنها كانت في حجر عائشة، قال: فأتيتها فوجدتها بحراً لا يترف»[٢].

قال صاحب تهذيب التهذيب: عمرة بنت عبد الرحمن المدنيّة الفقيهة تربية عائشة وتلميذتها[٣].

وقال الذهبي: «كانت عالمة فقيهة حجة كثيرة العلم»[٤].

وقال ابن حبان: «كانت من أعلم الناس بحديث عائشة»[٥].

وقال عمر بن عبد العزيز: «ما بقي أحد أعلم بحديث

(١) المسند (٦/ ٦٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).
(٣) تهذيب التهذيب ترجمة (٢٨٥٠) (١٢/ ٤٦٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).
(٥) أعلام النساء (٣/ ٣٥٦).

obeikandl.com

عائشة من عمرة». وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن حزم أن «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه، فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله»[١].

وقد حدَّث عن السيدة عمرة الكثيرون من سادة التابعين، فقد حدَّث عنها ولدها أبو الرجال محمد بن عبد الرحمن وابناه حارثة ومالك، وابن أختها القاضي أبو بكر بن حزم وابناه عبد الله ومحمد والزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وآخرون[٢].

وهكذا كانت السيدة عمرة خليفة السيدة عائشة في تبليغ أحاديث المصطفى وحمل هذه الأمانة من بعدها، فاستحقت بفضل العلم وبفضل تعليمها للكثيرين من رجال عصرها أن توضع في سجل خير نساء «نساء صنعن علماء».

وقد اختلفوا في وفاة السيدة عمرة فقيل توفيت سنة ثمان وتسعين وقيل توفيت سنة ست وتسعين[٣].

رحم الله السيدة عمرة وأحسن إليها المثوبة ورزقنا نساء مسلمات عالمات يعملون على نشر نور السنة المحمدية في كل الآفاق.

---

(١) شذرات الذهب (١/ ١١٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٩).

٤ ـ زينب بنت أبي سلمة

هي بنت أم سلمة القرشية المخزوميّة ولدتها أمها بالحبشة حين كانت مهاجرة مع زوجها أبي سلمة وعادت بها ترضعها[١]، ولما مات أبوها ولحقت أمها بأمهات المؤمنين صارت ربيبة رسول الله ﷺ، وآن لها أن تشب في بيت النبوة تتعلم من أفصح العرب وتسمع جوامع الكلم ثم تتلقن روائع الحكمة من خير البشر الذي كان يداعبها.

عن أنس قال: «كان النبي ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة وهو يقول: يا زوينب يا زوينب مراراً ـ وقيل كان يقول يا زُناب[٢] ـ وقد أرضعتها السيدة أسماء بنت أبي بكر وكانت أحب أولادها من الرضاعة»[٣].

إلى جانب أنها ابنة أم سلمة التي حين رضع منها الحسن البصري قبل رضيع الحكمة من أم سلمة.

---

(١) الإصابة (٧/ ٦٧٥).
(٢) الأحاديث المختارة (٥/ ١٠٩) وفيض القدير (٥/ ٢٠٥).
(٣) مسند الشافعي (١/ ٢٣٠).

ولذلك تهيأت زينب لأن تكون أفقه نساء زمانها، فكانت حين بلغت وكبرت من الثقات الفقيهات.

قال العجلي: «هي تابعية مدنيّة ثقة وهي ربيبة رسول الله ﷺ من زوجته أم سلمة»[١].

وقال صاحب الآحاد والمثاني: «زينب بنت أم سلمة كانت تُعد من الفقهاء»[٢].

وعن أبي رافع قال: «غضبت يوماً على امرأتي فقالت هي يوماً يهودية ويوماً نصرانية وكل مملوك لها حر إن لم تُطلق امرأتك، فأتيت عبد الله بن عمر فقال: إنما هذه من خطوات الشيطان، وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفقه امرأة في المدينة»[٣].

وقد جاء أن مولاة أبي رافع ليلى بنت العجماء حلفت وقالت لها زينب: كفّري ووافق رأيها ابن عمر[٤].

وكان أبو رافع يقول أيضاً: «كنت إذا ذكرت امرأة فقيهة بالمدينة ذكرت زينب بنت أم سلمة»[٥].

---

(١) معرفة الثقات (٢/ ٤٥٣).
(٢) الآحاد والمثاني (٦/ ٢٢).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٥).
(٤) التاريخ الكبير (٥/ ٢٨١).
(٥) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٠).

obeikandi.com

قال ابن حجر: «حفظت عن النبيﷺ وروت عنه وعن أزواجه وعن أمها وروى عنها ابنها أبو عبيدة ومحمد بن عطاء وعراك بن مالك وعروة بن الزبير»[١].

وقد أخرجت لها دواوين الحديث سبعة أحاديث منها حديث في البخاري وحديث في مسلم، وذكر لها مالك في موطئة حديث الإحداد على الميت روته زينب عن الأمهات أم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش[٢].

وقد عمرت زينب طويلاً وشهدت يوم الحرة في أيام يزيد، ولقيت هذا اليوم بصبر وعقل وفقه: أما الصبر فحين ألقى جسدا ولديها بين يديها قتيلين استرجعت وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون. وأما العقل والفقه فقولها: أما أحدهما فإنه لم يخرج محارباً وكفَّ يده فقتل مظلوماً فرجوت له الجنة، وأما الآخر فخرج وقاتل حتى قتل ففيه حيرتي: أهو شهيد أم هو غير شهيد؟ فالله أعلم بنيَّته عند القتال وأنا لا أعرف ما نوى فمصيبتي فيه أعظم[٣].

فيا له من صبر وعلم وفقه يعجز عنه الفقهاء الصابرون.

وتوفيت زينب سنة ثلاث وسبعين وحضر جنازتها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

---

(١) الإصابة (٧/ ٦٧٥).
(٢) الموطأ ص١٦٠.
(٣) أعلام النساء (٢/ ٦٧، ٦٨).

٥ ــ فاطمة بنت المنذر

هي فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام بن خويلد، وأمها أم ولد وقد تزوجها هشام بن عروة بن الزبير وهي في التاسعة من عمرها وولدت له عروة ومحمداً[١].

وقال الخطيب عن هشام بن عروة حين قيل له أن ابن إسحاق يحدث عنها قال: «كذب لقد دخلت بها وهي بنت تسع سنين وما رآها مخلوق حتى لحقت بالله»[٢].

وهكذا نشأت وشبَّت السيدة فاطمة في بيت مولع بالحديث وروايته، فجدها الزبير حواري رسول الله ﷺ وجدتها أسماء بنت أبي بكر وعمها عبد الله أحد العبادلة لولا أنه اشتغل بالإمارة فقل حديثه، وعمها أبو زوجها عروة أحد فقهاء المدينة السبعة، وزوجها هشام أكبر الرواة عن أبيه وحديث عمَّ الحجاز والعراق.

وقد أكثرت فاطمة من الرواية عن جدتها أسماء، ولعل

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٧) وتاريخ بغداد (١/ ٢٢٢).
(٢) تاريخ بغداد (١/ ٢٢٢).

قلة حديثها عن غيرها كان للحجاب الكثيف الذي زعموا أن زوجها هشاماً ضربه عليها منذ تزوج بها وهي بنت تسع فلم تسمع خلف هذا الحجاب إلا جدتها.

وقد ذكروا أن هشاماً نفى أن تكون حدثت أحداً، ولكن شمس الدين الذهبي ـ وقد تأخر عصره فاتسع له البحث ـ رأى في هذه الرواية ما يشبه أن لا يكون صحيحاً وذكر أنها حدَّثت حين أسنت وكبرت[١].

وقد روت فاطمة أحاديث في الكسوف والخسوف وإبراد الحمى بالماء وإباحة لحوم الخيل وقدر زكاة الفطر وقدر ماء الوضوء وغيرها[٢].

وأنصع ما روت عن أسماء قول رسول الله ﷺ لها: «انفحي وانضحي ولا توعي فيوعي الله عليك»[٣].

ومن ناصعة أيضاً روايتها عن جدّتها ذات النطاقين قوله ﷺ: «**المتشبع بما لم يملك كلابس ثوبي زور**»[٤].

وهو نهي لمن يزدهي بما ليس له لأنه كذب وباطل، وقد أوردوا فيه قديماً صورة ثياب لم يعد لها وجود، وأشبه شيء

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٧٠).
(٢) النقص ص١٩٥، ص١٩٦.
(٣) المجازات النبوية ص٣٠٨.
(٤) النهاية لابن الأثير (١/ ٢٢٨).

بها اليوم ثياب التمثيل وثياب العروس تقترضه فتجره وتدعيه[١].

وهكذا تخرجت السيدة فاطمة من مدرسة آل الزبير وآل أبي بكر وكلاهما خير مدرسة للصدق والعلم والأمانة.

(١) طبقات النساء المحدثات، عبد العزيز سيد الأهل ص٦٥.

obeikandl.com

٦ ـ أم الدرداء الصغرى(*)

هي هُجيمة بنت حيي الوصابية، كانت زوجة لأبي الدرداء وقد توفي عنها وهي ذات حسن وجمال(١).

عن مكحول قال: «كانت أم الدرداء تجلس في صلاتها جلسة الرجل وكانت فقيهة»(٢).

وجاء عنها في التاريخ الصغير: «كانت تجلس في حلق القُرَّاء تعلِّم القرآن»(٣).

وقال عنها ابن عساكر: «كانت زاهدة فقيهة وسمعت أبا الدرداء وأبا هريرة وعائشة، وروى عنها الكثيرون من سادات التابعين مثل جُبير بن نُفير وأبو قلابة عبد الله بن زيد الجَرْميّ وعثمان بن حيَّان ورجاء بن حيوة وإسماعيل بن عُبيد الله بن

(*) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢٧)، اللباب (١/ ٧٦)، تاريخ دمشق (٤١٨ ـ ٤٢٨) تراجم النساء، تذكرة الحفاظ (١/ ٥٠) العبر (١/ ٩٣)، البداية والنهاية (٩/ ٤٧).

(١) أسد الغابة (٧/ ٢٨٥)، طبقات الحفاظ للسيوطي ص١٧.

(٢) تاريخ دمشق تراجم النساء ص٤٢٧.

(٣) التاريخ الصغير (١/ ١٩٣).

أبي المهاجر»[١].

وروى عن عون بن عبد الله قال: جلسنا إلى أم الدرداء فقلنا لها: أمللناكِ فقالت: «أمللتموني لقد طلبت العبادة في كل شيء فما أصبت لنفسي شيئاً أشفى من مُجالسة العلماء ومذاكرتهم»[٢].

وفي رواية: «فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ولا أحرى أن أدرك به ما أريد من مُجالسة أهل الذكر»[٣].

عن ابن زينون قال: كتبت لي أم الدرداء في لوحي فيما تعلمني: «تعلموا الحكمة صغاراً تعملوا بها كباراً»[٤].

ولقد روت العديد من الأحاديث عن أبي الدرداء منها: عن أبي الدرداء عن النبيﷺ قال: «**من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربِهْ عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا**»[٥].

ومن أروع ما روته عنه من الوصايا:

عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: قالت أم الدرداء لأبي الدرداء: إن احتجت بعدك آآكل الصدقة؟ قال: لا، اعملي

---

(١) تاريخ دمشق ص٤١٨ تراجم النساء.
(٢) الحدائق (٤٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٨).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٥).
(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٣٣٤).
(٥) تاريخ دمشق ص٤١٨ تراجم النساء.

وكُلي قالت: فإن ضعفت عن العمل، قال: «التقطي السنبل ولا تأكلي الصدقة»[١].

ولقد كانت أم الدرداء زادة ورعة حكيمة ومن أقوالها: «يا بني لا تدعو أن تأدموا طعامكم بذكر الله أكلاً وحمداً خير من أكلٍ وصمت»[٢].

وعن هزان قال: قالت لي أم الدرداء: يا هزان ألا أحدثك ما يقول الميت إذا وضع على سريره؟ قال: قلتُ بلى قالت: فإنه ينادي يا أهلاه ويا جيراناه ويا حملة سريري لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا تلعبن بكم كما لعبت بي فإن أهلي لم يحملوا عني من وزري شيئاً ولو حاجّوني اليوم عند الجبار لحجّوني، ثم قالت: الدنيا أسحر لقلب العبد من هاروت وماروت وما آثرها عبد قط إلا صرعته[٣].

وكانت تحب العلم وأهله ومما جاء في ذلك:

عن أبي زكريا الخزاعي قال: «خرجنا مع أم الدرداء في سفر فصحبنا رجل فقالت: ما يمنعك أن تقرأ أو تذكر الله كما يصنع أصحابك؟ فقال: ما معي من القرآن إلا سورة وقد رددتها حتى أدْبَرْتَها[٤] قالت: وإن القرآن ليدبر ما أنا بالتي

(١) صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).
(٢) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص٤٣٣.
(٣) كتاب الزهد (١٦٥).
(٤) يريد أنه أشبعها قراءة وحفظاً.

أصحبك إن شئت تتقدم وإن شئت تتأخر»[١]. رحمك الله يا أم الدرداء لقد عرفت للعلم شأنه وعلمت أن خير العلم العلم بكتاب الله الذي هو أنيس الصالحين والصالحات. فهلمي أختي المسلمة إلى القرآن الذي لا تمله نفوس الصالحات ولا يتركه أحد إلا خاب وخسر.

(١) تاريخ دمشق تراجم النساء ص٤٣١.

obeikandl.com

٧ ـ حفصة بنت سيرين

هي أم الهذيل بصريّة ومدنيّة أيضاً وأبوها هو سيرين أحد سبي خالد بن الوليد من عين التمر. وقد كان سيرين يتأهّل لأن يكون كاهناً نصرانياً فلما مَنَّ الله عليه بالإسلام لم يزايله مزاج الزهد وقد أورثه لأولاده الرجال والنساء، وكانت حفصة أكبر ولده وحان لها أن تروي عن أم عطية الأنصارية وعن أنس بن مالك وعن أم الحسن البصري وعن جماعة من الصحابة واتفق لها الشيخان على سبعة أحاديث وانفرد كل منهما بحديث وأورد لها أحمد في مسنده تسعة أحاديث[١].

وهي سيدة من سيدات التابعيات.

عن أبي الدرداء قال: سيدات التابعيات هن «حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن وأم الدرداء الصغرى»[٢].

وقد ذكرها ابن حبان في الثقات وقال يحيى بن معين: ثقة حجة[٣].

(١) المسند (١/ ٤٠٧)، الخلاصة ص٤٩٠.
(٢) أعلام النساء (١/ ٢٧٣).
(٣) أعلام النساء (١/ ٢٧٤).

وقد روت عن أخيها يحيى وأنس بن مالك وقيل روت عن سلمان بن عامر والضبي، وروى عنها محمد بن سيرين وقتادة وعاصم الأحول وأيوب وخالد الحذاء وابن عون[١].

وقد اشتهرت بالعلم بالقرآن الكريم وكانت كثيرة القراءة له. عن عبد الكريم بن معاوية قال: «ذُكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة»[٢].

وعن هشام بن حسان قال عنها: «قرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة»[٣].

وعن هشام أيضاً: أن ابن سيرين كان إذا أشكل عليه شيء في القراءة قال: «اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ»[٤].

وكانت مشهود لها بالعقل والصلاح.

عن هشام بن حسان قال: «قد رأيت الحسن وابن سيرين وما رأيت أحداً أُرى أنه أعقل من حفصة».

وقال إياس بن معاوية: «ما أدركت أحداً أفضله على حفصة»[٥].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٢).
(٣) المصدر السابق.
(٤) صفة الصفوة (٤/ ٢١).
(٥) الخلاصة ص١٩٦.

obeikandl.com

وهكذا كانت السيدة حفصة خير نموذج للمرأة العالمة بكتاب الله وسنة حبيبه المصطفىﷺ.

وتوفيت السيدة حفصة سنة إحدى ومائة[١].

وعن أم سليم بنت سيرين قالت: «ربما نُوِّر لحفصة بنت سيرين بيتها»[٢].

وهكذا العلم والعمل بكتاب الله، وهكذا تكون البيوت التي يكثر فيها تلاوة كتاب الله فهي بيوت تضيء في الأرض وفي السماء فعليك أختاه بالعلم بكتاب الله وسنة رسولهﷺ وعليك بتربية أولادك على حبه لتكتبي مع الصالحات في سجل نساء صنعن علماء ولكي نُعيد للإسلام مجده:

أخا الحديث ويا بقية سلفنا
ارو الغليلَ بشيخنا الألباني
وانشر علومَ السابقينَ وَاونَا
لِلَّه دَرُّك من فتًى رباني[٣]

(١) البداية لعبد العزيز سيد الأهل ص١٦٢.
(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٢).
(٣) الأبيات من بحر الكامل.

٨ ــ مُعاذة العدوية(*)

هي أم الصهباء معاذة بنت عبد الله، السيدة العالمة العدوية البصرية العابدة زوجة السيد القدوة صلة ابن أشيم، روت عن علي بن أبي طالب وهشام بن عامر وأكثرت عن عائشة(١).

وقد روت عن أم المؤمنين عائشة العديد من الأحاديث: عن الآنية وصلاة الضحى والطهارة وفي تخيير النبي لنسائه(٢). حدَّث عنها أبو قلابة ويزيد الرِّشك ـ بكسر الراء المشددة وسكون الشين ـ وعاصم الأحول وأيوب السختياني(٣).

قال الذهبي: بلغني أنها كانت تحيي الليل وتقول: «عجبي لعين تنام وقد علمت طول الرقاد في القبور»(٤).

(*) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨)، طبقات ابن سعد (٨/ ٤٨٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٤)، شذرات الذهب (١/ ١٢٢) وكتابي «نساء لها تاريخ» ص١٥١.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).

(٢) أحاديث عائشة في مسند أحمد ـ الخلاصة ص٤٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).

وقال أيضاً: «حديثها محتج به في الصحاح وثَّقها يحيى بن معين»[١].

أرَّخ أبو الفرج بن الجوزي وفاتها في سنة ثلاث وثمانين[٢].

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٩)، شذرات الذهب (١/ ١٢٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٩) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٤).

obeikandl.com

٩ ـ فاطمة النيسابورية

هي الزاهدة العالمة الفاضلة فاطمة النيسابورية، ولدت في نيسابور إحدى قصبات خراسان وكانت من العارفات أثنى عليها أبو يزيد البسطامي وسألها ذو النون عن مسائل، وقد جاورت بمكة وربما دخلت بيت المقدس، لم يكن في زمانها من النساء مثلها[١].

عن محمد بن الحسن بن علي قال: «سمعت ابن ملوك وكان شيخاً كبيراً رأى ذا النون المصري قال: وسألته مَنْ أَجَلُّ من رأيت؟ قال: ما رأيت أجلَّ من امرأة رأيتها بمكة يُقال لها فاطمة النيسابورية، وكانت تتكلم في فهم القرآن وتعجبت منها فسألت ذا النون عنها فقال لي: هي وليَّة من أولياء الله ﷻ وهي أستاذتي»[٢].

وقال أبو يزيد البسطامي: «ما رأيت في عمري إلا رجلاً

(١) طبقات الصوفية (١/ ٤٠٠)، العبر (٣/ ٢٩٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٨٠)، صفة الصفوة (٤/ ١١١)، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٣٨).

وامرأة والمرأة فاطمة النيسابورية ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عياناً»[١].

وقال لها ذون النون: «عِظيني وقد اجتمعا ببيت المقدس قالت له: الزم الصدق وجاهد نفسك في أفعالك وأقوالك لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١][٢].

ومن أقوالها: الصادق المقرب في بحرٍ تضطرب عليه أمواج يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة[٣].

وهكذا كانت السيدة فاطمة النيسابورية واعظةً للرجال بل كانت تفوق كثير من الرجال في عصرها رحمها الله وألحقنا بركب الصالحات.

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩)، صفة الصفوة (٤/ ١١١).
(٢) طبقات الصوفية (١/ ٤٠١) وشذرات الذهب (٣/ ٣٦٥).
(٣) صفة الصفوة (٤/ ١١١) وطبقات الصوفية (١/ ٤٠١).

obeikandl.com

١٠ ـ فاطمة السجستانية

هي أم سلمة فاطمة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني حفيدة أبي داود السجستاني صاحب السنن، وقد حدَّثت عن أبيها وسمع منها أبو القاسم عبد الواحد بن زوج الحرة ومحمد بن جعفر وغيره[١].

وقد سمع منها خلق إملاء من حفظها في منزل أبي إسحاق المزكي أحد الأعلام الذين أنفقوا في تحصيل الحديث مالاً جماً، وكان قد عُقد له لواء مجلس الإملاء بنيسابور سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فحدثت فيه فاطمة إملاء[٢].

كتب محمد بن جعفر بخط يده: حدثتنا أم سلمة فاطمة بنت أبي بكر بن عبد الله بن أبي داود السجستاني إملاء من حفظها[٣].

ومن أحاديث فاطمة حفيدة أبي داود قالت: حدثني أبي

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢).
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٣).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢).

قال: حدثنا أبي قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم.. إلى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**»[١].

وفي معناه حديث آخر هو: «**من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء**» رواه البخاري ومسند أحمد[٢].

وهكذا حملت تلك المرأة المسلمة العلم عن جدِّها لتنشر نور هذا العلم في كل البقاع.

(١) المصدر السابق (١٤/ ٤٤٢).
(٢) المعجم المفهرس للحديث (٣/ ٨٣).

obeikandl.com

١١ ـ أَمَة الواحد بنت المحاملي(*)

هي أمة الواحد ستيتة بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضَّبيِّ المحَامِلي(**) وقد كانت أمة الواحد من أعلم نساء عصرها، فقد فاقت نساء عصرها فحفظت القرآن والفقه والفرائض والعلوم مع الزهد والصدقات وبرعت في فقه الشافعي وصارت مفتية النساء في بغداد وكانت تشارك أبا علي ابن أبي هريرة شيخ الشافعية ببغداد وتفتي معه(١).

قال أبو بكر البرقاني: «كانت بنت المحاملي تفتى مع أبي علي بن أبي هريرة»(٢).

وقال الدارقطني: «أمة الواحد بنت الحسين سمعت أباها

(*) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٤)، تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢)، المنتظم (٧/ ١٨٣)، العبر (٣/ ٤)، شذرات الذهب (٤/ ١٢٣).

(**) المحاملي: نسبة قديمة لبيوت كثيرة عريقة في العلم وهي نسبة إلى من كانوا يبيعون المحاميل التي يُركب عليها في الأسفار.

(١) تار يخ بغداد (١٤/ ٤٤٣)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٤) وأعلام النساء (١/ ٨٩ ـ ٩٠).

(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٣)، المنتظم (٧/ ١٣٨).

وإسماعيل بن العباس الورّاق وعبد المغافر. حفظت القرآن الكريم والفقه على مذهب الشافعي والفرائض وحسابها والدور والنحو وغير ذلك، وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة مسارعة في الخيرات حدَّثت عنها وكُتب عنها الحديث»[١].

وقد علَّمت هذه المرأة المسلمة الكثير من الرجال وكانت أم لأحد الأعلام وهو القاضي محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي، وتوفيت أمة الواحد في شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة[٢]. وجد أمة الواحد هو إسماعيل الضَّبيّ مُحدث بغداد، سمع قديماً من بعض أصحاب مالك وكذلك كان أبوها مُحدثها[٣].

وقد كانت أمة الواحد من المحظوظات في العلم حيث تعلمت على يد أبيها القاضي أبي عبد الله المحاملي أحد الأعلام في عصره، وقد تعلمت منه كتاب السنن ولم يكن في الأرض أسند منه في زمانه[٤].

ومن أحاديث أمة الواحد: عن الحسن بن محمد الخلال قال: حدثتنا أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل قالت حدثني أبي.. إلى أبي لهيعة عن أبي الزبير قال: سألت جابراً

(١) شذرات الذهب (٤/ ١٢٣)، العبر (٣/ ٤).
(٢) المنتظم حتى ٢٥٧هـ (٧/ ١٣٨).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٣).
(٤) العبر (٣/ ٤)، طبقات العبادي ص٤٧٢.

أتعتمر المطلقة والمتوفى عنها زوجها أو تحج؟ قال: نعم قُلت: أتتربصا حيث أرادتا، قال: لا. قال جابر: وأخبرتني خالتي أنها طُلقت البتة فأرادت أن تخرج تجد نخيلها فزجرها رجل أن تخرج فأتت رسول الله ﷺ فقال: «**بلى تجدي نخلك فعسى أن تصدقي وتفعلي معروفاً**»[١] وهذه إحدى مشاكل أهل الفتوى وإجابتها في هذا الحديث. وهكذا كانت المرأة المسلمة عالمة صالحة تنشر حديث رسول الله ﷺ وتعلمه للرجال والنساء فرحمة الله عليهن من نساء «نساء صنعن علماء».

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤٤٥).

obeikandl.com

١٢ ـ كريمة المروزية(*)

هي الشيخة العالمة الفاضلة المسندة أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية(**) المجاورة بحرم الله(١). وقد جلست كريمة إلى عدد من الأئمة كان من أكبرهم اثنان أكسباها سعة في العلم وقدراً كبيراً من الفهم وحظاً فاق كل خطوط الدراسات، فقد سمعت من أبي الهيثم الكشميهني صحيح البخاري وسمعت عن زاهر بن أحمد السرخسي(٢).

وقد حدَّث عنها الخطيب البغدادي وأبو الغنائم النرسي وأبو طالب الحسيني الزينبيّ وأبو المظفر بن السمعاني وأبو

(*) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٧١)، المنتظم (٨/ ٢٧٠)، التقييد (١/ ٤٩٩)، الكامل (١٠/ ٦٩)، العبر (٣/ ٢٥٤)، البداية والنهاية (١٢/ ١٠٥)، العقد الثمين (٨/ ٣١٠)، شذرات الذهب (٣/ ٣١٤).

(**) المروزية: نسبة إلى مرو أو مرو الشاهجان دون مرو الروذ فإن النسبة إليها مرو روذي وهذه القرى كلها من خراسان ومنها كلها خرج كثير من أئمة السلف وأئمة الخلف كعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وأبو بكر القفال [معجم البلدان وآثار البلاد في مرو].

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).

(٢) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٣٣).

القاسم علي بن الحسيني خطيب دمشق[١].

قال أبو الغنائم النرسي [وهو أحد الحفاظ الثقات]: أخرجت كريمة إليَّ النسخة بالصحيح فقعدت بجزائها وكتبت، وكتبت سبع أوراق وقرأتها وكنت أريد أن أعارض وحدي فقالت: لا حتى تعارض معي، فعارضت معها قال: وقرأت عليها من حديث زاهر[٢].

وقال أبو بكر بن منصور السمعاني: سمعت الوالد يذكر كريمة ويقول: وهل رأى إنسان مثل كريمة[٣].

وقال: «لم تتزوج كريمة قط، وكان أبوها من كشميهين وأمها من أولاد السياري وخرج بها أبوها إلى بيت المقدس وعاد بها إلى مكة وكانت قد بلغت المائة[٤]. وقد كان تفرغ كريمة وطول عمرها حظاً للعلم فقد أخذ عنها العديد من المحدثين صحيح البخاري، فهي تعد راوية البخاري الأولى حيث لا يوجد بينها وبين البخاري غير اثنين بل لم يكن غير واحد، فقد روت عن الكشميهني الذي سمع من الفريري، وكان عند الفريري الأصل الذي خلفه البخاري فكأنها سمعت من الفريري بالوجادة من نسخة البخاري[٥]. وهكذا فقد كان

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٤)، المنتظم (٨/ ٢٧١).
(٢) غرر الفوائد (١/ ١٢٠) وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٤)، العبر (٣/ ٢٥٤).
(٤) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٨/ ٣١١).
(٥) اللباب (٢/ ٤١٨)، (٣/ ٩٩)، مرآة الجنان (٢/ ٢٨٦).

عدم زواجها وتفرغها حظاً لكريمة، وحظاً للعلم وحظاً للبخاري وأهل الحديث.

وكان طول عمرها كذلك حظاً للعلم ولقد أبقى الله لها بصرها فكانت ترد على من يقرأ عليها لمجرد نظرها في كتابها. وفي ذلك يقول الحافظ أبو الفضل بن ناصر: «ما رأيت امرأة عجوزاً تضبط بالنظر في كتابها وترد على من يقرأ عليها مثلها»[١].

وهكذا كما صنعت أم البخاري ولدها الذي صنَّف صحيح البخاري، فقد تخرج على يد السيدة كريمة المروزية العديد من العلماء كما قدمنا فكانت بحق من «النساء اللاتي صنعن علماء».

توفيت كريمة المروزية بمكة سنة خمس وستين وأربعمائة[٢].

(١) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٧١)، الكامل (١٠/ ٦٩).
(٢) التقييد (١/ ٤٩٩).

obeikandl.com

١٣ ـ أم عيسى بنت إبراهيم الحربي(*)

قال عنها الخطيب: أنها كانت فاضلة عالمة تفتي في الفقه(١).

وعن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، ذكر أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربي كانت فاضلة عالمة تفتي في الفقه ودفنت في جنب أبيها إبراهيم(٢).

وقال أبو الأزهر عن طلحة بن محمد أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربي ماتت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة(٣).

(*) البداية والنهاية (١١/ ١٩٦)، صفة الصفوة (٢/ ٣٤٠)، والمنتظم من ٢٥٧هـ (٦/ ٣١٥)، تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢).

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٤٠).

(٣) المنتظم من ٢٥٧هـ (٦/ ٣١٥) والبداية والنهاية (١١/ ١٩٦).

obeikandl.com

١٤ ـ عائشة الوصابية

هي أم الفتح عائشة بنت حسن بن إبراهيم الوصابية(*) الوركانية(**) الأصبهانية الواعظة العالمة المسندة، وكان سماع عائشة للحديث في أصبهان ومع ما اتصفت به من العلم والصلاح والقدرة على الوعظ، فقد رزقت في الحديث حظاً كبيراً إذ سمعته وروته عن الحافظ الكبير عبد الله بن منده وكتبت الإملاء عنه بخطها(١).

وسمعت من محمد بن جشنس الراوي عن ابن صاعد ومن عبد الواحد بن شاة وجماعة.

(*) معجم البلدان (٥/ ٣٧٣)، اللباب (٣/ ٣٦١)، العبر (٣/ ٢٤٧)، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٨).
الوصابية: نسبة إلى وَصاب ـ بفتح الواو ـ نسبة إلى قبيلة أو مكان والقبيلة من بني سهل بن عبد شمس والمكان جبل يحاذي زبيد باليمن وفيه عدة قرى وحصون يسكنها قوم عصاه لا طاعة عليهم لسلطان إلا عنوة [معجم البلدان ٥/ ٣٧٣].

(**) الوَرْكَانِية: نسبة إلى وركان ـ بفتح وسكون وهي قرى كثيرة متفرقة بهذا الاسم.

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٢)، العبر (٣/ ٢٤٧).

وحين سمعت عائشة من ابن منده فقد اتسعت روايتها إذا كانت مما جمع شيخها وصنَّف في الكلام والتاريخ والحديث، ولما كانت عائشة قد ولدت سنة سبعين وثلثمائة وهو العام الذي بدأ يحدث فيه ابن منده بأصبهان، فقد سمعت منه حضوراً ـ أي وهي صغيرة لم تبلغ الخمس ثم ظلت تسمع حديثه نحواً من ربع قرن من الزمان بل وربما روت عنه بالوجادة ـ أي فيما وجدت في كتبه التي جمعها والتي صنّفها.

وسمع منها الحديث جماعة أشهرهم: أبو العباس أحمد بن أبي منصور بن ينال[١] ومحمد بن حمد الكبرتي وإسماعيل الحمامي المعمر[٢].

قال ابن السمعاني: «سألت الحافظ إسماعيل عنها فقال: «امرأة صالحة عالمة تعظ النساء وكتبت أمالي ابن مندة عنه وهي أول من سمعت منها الحديث، بعثني أبي إليها وكانت زاهدة»[٣].

وقد روت عن أم الفتح عالمة مسلمة أخرى هي أم الرضا ضوء بنت حمد بن علي الأصبهانية التي كان مولدها عام ولد ابن ينال وكأنهما تجاورا في السماع.

وأم الرضا صارت محدثة ذات دين وصلاح وبر وإحسان،

(١) الإكمال لابن ماكولا (١/ ٢٥١)، اللباب (٣/ ٣٦١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٢)، شذرات الذهب.
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٢)، العبر (٣/ ٢٤٧).

ثم كانت ألصق الرواة بعائشة إذ كانت عائشة جدة أبيها حمد بن علي. وقد كتب السمعاني وغيره عن ضوء حين حدثته بأصبهان[١].

وتوفيت عائشة عن ستة وستين وأربعمائة فرحمها الله من عالمة صنعت علماء وعالمات مسلمات.

(١) أعلام النساء (٢/ ٣٦٠)، (٣/ ١٣٣).

obeikandl.com

١٥ ــ فاطمة بنت الدقاق(*)

هي فاطمة بنت الأستاذ أبي علي الحسن بن علي بن الدقاق(**) النيسابورية الزاهد العارف(١).

وقد نشأت فاطمة في منزل الدقاق الذي هو أحد العلماء الذين صنَّفوا الصحيح على شرط مسلم بن حجاج، فكان هذا الجو وتلك القيود في تدوين الصحيح وروايته عامل قوي في سيرة فاطمة ونشأتها.

وقد كانت سيرة فاطمة من أجلِّ السير وأكثرها أثراً وأبعدها في الزمن امتداداً فقد تأثرت بأبيها وإلى جانب ذلك تأثرت بزوجها أبي القاسم القشيري الإمام الكبير، الذي كان زواج فاطمة منه سبب في علو قدرها حيث روت الحديث بإسناد عالي إذ حدَّثت عن فقهاء أئمة حدّثوا عن أئمة فقهاء.

قال عنها الذهبي: «الشيخة العابدة العالمة أم البنين

(*) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩)، العبر (٢/ ١٤٨).
(**) الدقاق: نسبة إلى عمل الدقيق وطحنه.
(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩).

النيسابورية أهل الأستاذ أبي القاسم القشيري وأم أولاده»[١].

وقال أيضاً: «كانت عابدة قانتة متهجدة كبيرة القدر[٢]، وقد روت بنت الدقاق عن أبيها وعن زوجها وسمعت من أبي نعيم الإسفرائيني وأبي الحسن العلوي وعبد الله بن يوسف وأبي علي الروذباري وأبي عبد الله الحاكم وطائفة»[٣].

وقد حدَّث عنها عبد الله بن الفراوي وزاهر الشحامي وأبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد حفيدها وآخرون[٤].

وقد أنجبت السيدة فاطمة أربعة أولاد كانوا أغصان لشجرة مباركة، وصاروا أئمة في العلم والحديث وهم: أبو سعد عبد الله وهو أكبر الإخوة كان إماماً فارعاً، أجله أبوه وأنزله منزلة الأقران[٥].

والثاني أبو سعيد عبد الواحد بدأ سماع الحديث حضوراً في الرابعة من عمره ثم صار صالحاً فاضلاً وروى الحديث عن جماعة[٦].

وثالثهم أبو نصر عبد الرحيم وقد أشبه أباه في علومه

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩).
(٢) المصدر السابق، العبر (٢/ ١٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩)، الشذرات (٣/ ٣٦٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩).
(٥) شذرات الذهب (٣/ ٣٥٤).
(٦) الشذرات (٣/ ٤٠١).

ومجلسه، وأطبق علماء بغداد على تفضيله وقال فيه إمام الحرمين الجويني:

معاني النجابة مجموعة
بعبد الرحيم بن عبد الكريم[١]

وآخرهم أبو المظفر عبد المنعم وهو آخر إخوته حدَّث عنه البيهقي والكبار[٢].

وقد امتد أثر هؤلاء الأولاد إلى الأحفاد وهكذا كانت الأم مباركة والأولاد والأحفاد كذلك، وكانت خير أسرة صنعت علماء وحملت العلم الذي منَّ الله به على تلك الأسرة المباركة.

وقد توفيت السيدة فاطمة في ذي القعدة سنة ثمانين وأربع مئة ولها تسعون سنة[٣].

(١) شذرات الذهب (٤/ ٤٥).
(٢) شذرات الذهب (٤/ ٩٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩)، العبر (٢/ ١٤٨).

١٦ ـ فاطمة بنت زَعبل(*)

هي فاطمة بنت أبي الحسن علي بن المظفر بن الحسن بن زَعبل البغدادي، تكنى بأم الخير النيسابورية المقرئة، بغدادية الأصل، كانت ولادتها سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ووفاتها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فامتد عمرها إلى ما فوق التسعين بثلاث سنوات(١).

وقال الذهبي: «توفيت في أوائل المحرم في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة»(٢).

قال أبو سعيد السمعاني: «سمعت فاطمة من أبي الحسين الفارسي صحيح مسلم وغريب الخطابي، وكانت شيخة من أهل القرآن تعلمه للجواري ـ الفتيات ـ ثم كانت تلقن النساء ـ أي تفهمن ـ القرآن والعلم بالغريب وروايته لا يطيقه إلا أئمة

(*) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥)، العبر (٤/ ٨٩)، الإكمال لابن ماكولا (٣/ ٣٠)، التقييد (١/ ٤٩٨)، شذرات الذهب (٤/ ١٧٠)، كشف الظنون (٢/ ١٢٣).

(١) العبر (٤/ ٨٩) والإكمال (٣/ ٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥).

اللغة الكبار، فإقدام فاطمة عليه يدل على تمكنها من اللغة وفهم الحديث[١].

وقال عنها أيضاً: «امرأة صالحة عالمة»[٢].

قال الذهبي: «حدَّث عنها أبو سعد السمعاني وأبو القاسم بن عساكر والمؤيد بن محمد وزينب الشعرية وجماعة»[٣].

وتوفيت ـ كما سبق ـ في أوائل المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وقيل سنة ثلاث وثلاثين[٤].

(١) الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٧٩)، والشذرات (٤/ ١٧٠)، وكشف الظنون (٢/ ١٢٣).
(٢) التقييد (١/ ٤٩٨)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥).

obeikandl.com

١٧ ـ أم البهاء فاطمة البغدادية(*)

هي فاطمة بنت محمد بن أبي سعيد أحمد بن الحسن بن علي بن سليمان البغدادي، مولدها بعد الأربعين وأربع مئة(١).

سمعت من أحمد بن محمود الثقفي وإبراهيم بن منصور سبط بحراويه وأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي المقرىء وسعيد بن أبي سعيد العيار(٢).

ومن شيوخ أم البهاء هؤلاء الذين سمعت منهم تعرف مدى سعة علم هذه المرأة المسلمة العالمة وروايتها، كما أنها كانت واعظة متأثرة في ذلك بأبي الفضل الرازي الزاهد المتوكل، ثم يذهب الظن وراء إحسانها الوعظ وإسنادها إلى الدليل من الحديث الصحيح ومما سمعته من أبي سعيد العيار وقد أعانها كل ذلك على دقة اختيارها لما تعظ به ويبدو أنه لذلك كله كنّوها بأم البهاء(٣).

(*) التحبير (٢/ ٤٣٢)، شذرات الذهب (٤/ ١٢٣)، العبر (٤/ ١٠٩)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٤٨)، التقييد (١/ ٤٩٩).

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٤٨).

(٢) التحبير (٢/ ٤٣٢)، التقييد (١/ ٤٩٩).

(٣) المرآة (٣/ ٢٧١)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٤٨).

قال الذهبي عنها: «الشيخة العالمة الواعظة المعمرة مسندة أصبهان».

وقال أبو سعيد السمعاني بعد أن نسبها:

«امرأة صالحة سمعها أبوها وعمَّرت حتى تفردت»[١].

وقد حدَّث عنها السمعاني وابن عساكر وأبو موسى المديني وعبد اللطيف بن محمد الخوارزمي وابن بنتها داود بن معمر[٢].

قال عنها السمعاني شيخة مُعمرة مسندة[٣].

وهكذا تلقت السيدة أم البهاء العلم ودرّسته لأعلام من أئمة العلم، وفي ذلك تكون وبحق من خير النساء «نساء صنعن علماء».

(١) التقييد (١/ ٤٩٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٤٨).
(٣) المصدر السابق.

obeikandl.com

١٨ ـ شُهدة الكاتبة

هي شُهدة بنت المحدث أبي نصر أحمد بن الفرج الإبري ـ نسبة إلى بيع الإبر التي يُخاط بها ـ الدينوري(*) ثم البغدادي(١).

وهي بغدادية المولد وولدت بعد الثمانين وأربع مائة، قال عنها الذهبي: «مسندة العراق وفخر النساء»(٢).

وقد روت شهدة عن طائفة من الأعلام واتسعت روايتها عن طراد وأبو الحسين السراج: فروت عن الأول كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، وروت عن الثاني حكايات وأقاصيص ذكرها ابن الجوزي في كتابه (ذم الهوى) ثم روت عدداً وفيراً من الكتب والأجزاء والغرائب والجوامع والأمالي(٣).

وقد سمعت من ابن طلحة النعالي وأبي الحسن بن أيوب

(*) الدينوري: نسبة إلى دينور.
(١) التقييد (١/ ٥٠١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٣) شذرات الذهب (٢/ ٢٤٨).

وأبي الخطاب بن البطر وعبد الواحد بن علوان وأحمد اليوسفي وثابت بن بنداد وجعفر السراج وأبي الفوارس طراد الزينبي[١].

قال ابن العماد: «دينة عالمة عابدة صالحة سمّعها أبوها الكثير»[٢].

ورواية شهدة لكتاب الأموال وقراءته عليها وإخبارها بتفاصيله وحروفه دليل على علو درجتها في العلم والرواية، وخوضها في دقائق الفقه التي لم تتيسر لكثير من أئمة الرجال والنساء.

وقد قرأ عليها هذا الكتاب العديد من الأعلام ـ كتاب الأموال ـ أشهرهم الإمام أبي الحسن التلمساني.

قال القرطبي: أنبأنا الشيخ الفقيه الإمام أبو القاسم عبد الله عن أبيه الشيخ الفقيه الإمام المحدث أبي الحسن علي بن خلف التلمساني قال: قُرىء [أي كتاب الأموال] على الشيخة العالمة فخر النساء شهدة بنت أبي النصر الدينوري وذلك بدارها بدار السلام[٣].

وقد حدَّث عنها ابن عساكر والسمعاني وابن الجوزي وعبد الغني وعبد القادر الرهاوي، وابن الموفق الشيخ العماد

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٢) شذرات الذهب (٢/ ٢٤٨).
(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٥).

والشهاب بن راجح وأبو القاسم بن قميرة وغيرهم[١]. وقد روت شُهدة أجزاءً من أمالي المحاملي وأمالي البحتري على عدد من الشيوخ وجزءاً، من كتاب الديباج لإسحاق بن إبراهيم الخعكي، وجزءاً من كتاب الجامع لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، وجزءين من منتقى ابن شاذان، وجزءاً من كرامات الأولياء للحسن الخلال، وقطعة من كتاب الخيل من ثابت بن بنداد، وجزءاً من حديث أبي سهل القطان، وروت أجزاء من غرائب مالك بن أنس[٢].

قال ابن الجوزي: «قرأت عليها وكان لها خط حسن»[٣].

تزوجت ببعض وكلاء الخليفة وخالطت الدور والعلماء ولها بر وخير وعمَّرت حتى قاربت المئة[٤].

قال الشيخ الموفق: «انتهى إليها إسناد بغداد، وعمَّرت حتى ألحقت الصغار بالكبار»[٥].

وقال صاحب التقييد: «لها رواية في مسند مسدَّد عن ثابت بن بُنداد»[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٢) العبر (٥/ ٢٤٩)، الشذرات (٤/ ٢٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٤) التقييد (١/ ٥٠١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٦) التقييد (١/ ٥٠٢).

توفيت في رابع عشر المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة وحضرها خلق كثير وعامة العلماء[١].

فرحم الله تلك العالمة التي علَّمت العلم وكانت بحق من خير النساء «نساء صنعن علماء».

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٣)، شذرات الذهب (٤/ ٢٤٨)، العبر (٥/ ٢٤٩).

obeikandl.com

١٩ ـ أم خلف الشحامية

هي سعيدة بنت أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي من أهل نيسابور.

قال عنها صاحب التحبير في المعجم الكبير: «امرأة عفيفة ستيرة صالحة عالمة، كانت قد أسنت وعمَّرت حتى تفردت برواية قطعة صالحة من الحديث. سمعت جدها أبا عبد الرحمن بن طاهر وأبا سعد عبد الرحمن بن منصور وعثمان المحمى وأبا بكر الشيرازي وغيرهم».

وقال أيضاً [أي السمعاني] كتبت عنها أجزاء بنيسابور[١]. وكانت ولادتها سنة ثمان أو سبع وستين وأربعمائة بنيسابور، وتوفيت في سحر يوم السبت السابع من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وخمسمائة[٢].

---

(١) التحبير للسمعاني (٢/ ٤١١).
(٢) المصدر السابق.

٢٠ ـ فاطمة بنت عباس البغدادية(*)

هي فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح البغدادية، أم زينب الواعظة العالمة الفقيهة الزاهدة القانتة سيدة نساء زمانها(١).

قال ابن العماد: «انتفع بها خلق من النساء وتابوا، وكانت وافرة العقل والعلم قانعة باليسير حريصة على النفع والتذكير ذات إخلاص وخشية وأمر بالمعروف»(٢). وقال ابن حجر: «كانت تدري الفقه جيداً وكان ابن تيمية يثني عليها ويتعجب من حرصها وذكائها، وانتفع بها نساء أهل دمشق لصدقها في وعظها وقناعتها. ثم تحولت إلى القاهرة فحصل بها النفع وارتفع قدرها وبَعُدَ صيتها، وكانت تفقهت بالشيخ ابن أبي عمر وقلَّ من أنجب من النساء مثلها»(٣).

توفيت ليلة عرفة سنة أربع عشرة وسبعمائة(٤).

(*) شذرات الذهب (٣/ ٣٤)، الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٥)، العبر في خير من غَبَر (٦/ ٨٠).

(١) شذرات الذهب (٣/ ٣٤)، الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٥).

(٢) شذرات الذهب (٣/ ٣٤).

(٣) الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٥)، العبر في خبر من غَبَر (٦/ ٨٠).

(٤) الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٥).

٢١ ـ أم محمد الطبرية

هي أم محمد ـ وقيل أم الكرام ـ ظريفة بنت أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي علي بن أبي زيد المأمون الطبري، من أهل طبرستان من بيت الحديث[١].

قال صاحب التحبير: «امرأة صالحة عفيفة عالمة سكنت (بلخ)»[*]. وسمعت الإمام أبا المحاسن عن الواحد بن إسماعيل الروياني الطبري وسمعت [أي السمعاني] منها حديثاً واحداً ببلخ وهي أم صاحبنا الحافظ الطبري محمد بن أبي الفوارس[٢].

توفيت ببلخ يوم الجمعة في أواخر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[٣].

---

(١) التحبير (٢/ ٤٢١).

(*) مدينة مشهورة بخراسان في كتاب الملحمة [معجم البلدان (١/ ٤٦٨)].

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

٢٢ ـ ست الوزراء التنوخية

هي أم محمد وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا بن أبي البركات التنوخي، وتدعى ست الوزراء بنت القاضي شمس الدين الحنفي الدمشقية[١].

حدَّثت بصحيح البخاري وبمسند الشافعي بدمشق ومصر مرات[٢].

سمعت علي الحسين بن المبارك الزبيدي صحيح البخاري بالجامع المظفري ومسند الشافعي، وسمعت من والدها وحدَّثت بالكثير وسمع منها الواني وابن المحب والقاضي فخر الدين المصري والعلائي وابن قاضي الزبداني، وحضرها أبو هريرة بن الذهبي[٣].

وحدَّث عنها عبد النورين علي المغربي المكناسي المقرىء[٤].

---

(١) ذيل التقييد (٢/ ٣٩٦)، طبقات المحدثين (١/ ٢٣٠).
(٢) شذرات الذهب (٣/ ٤٠) والعبر (٦/ ٨٨).
(٣) ذيل التقييد (٢/ ٣٩٧).
(٤) الدارس (١/ ٢٢٥).

obeikandl.com

وسمع منها مسند الشافعي علي بن يعقوب البكري الحريري[١].

وسمع منها محمد بن إسماعيل الزواوي (صحيح البخاري) وحدَّث به عنها في القاهرة[٢].

قال عنها ابن كثير: الشيخة الصالحة ست الوزراء بنت عمر بن أسعد راوية صحيح البخاري، وكانت من الصالحات، توفيت ليلة الخميس ثامن عشر من شعبان ودفنت بتربتهم فوق جامع المظفري بقاسيون[٣].

وتوفيت في ست وعشر وسبعمائة ولها اثنان وتسعون سنة[٤].

(١) الدرر الكامنة (٤/ ١٩٤).
(٢) النجوم الزاهرة (٩/ ٢٣٧).
(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٧٩).
(٤) ذيل التقييد (٢/ ٣٩٧).

obeikandl.com

٢٣ ـ عائشة بنت عبد الهادي(*)

هي عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحية الحنبلية المذهب محدثة دمشق(١).

ولدت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وحضرت في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاري على مُسند الآفاق الحجّار(٢).

أسمعت صحيح مسلم على جماعة من أصحاب بن عبد الدائم ومعظم السيرة على عبد القادر بن الملوك، وشاركت أختها فاطمة في كثير من المسموعات والمجازات، وتفردت بالسماع من الحجَّار وجُماعة، وسمع منها الرحَّالة فأكثروا وكانت سهلة الأسماع سهلة الجانب(٣).

(*) الضوء اللامع (١٢/ ٨١)، إنباء العمر (٧/ ١٣٢)، شذرات الذهب (٩/ ١٧٨) وأعلام النساء (٣/ ١٨٧).

(١) شذرات الذهب (٩/ ١٧٨).

(٢) إنباء العمر (٧/ ١٣٢).

(٣) الضوء اللامع (١٢/ ٨١).

obeikandl.com

روت عن خلق، وروى عنها الحافظ بن حجر كتباً عديدة كصحيح البخاري وقُرىء عليها الحديث المسلسل بالأولية من مسند الدارمي وأجازت لأبي الفتح العثماني مروياتها، وكانت في آخر عمرها أسند أهل زمانها مكثرة سماعاً وشيوخاً[١].

وكانت آخر من حدَّث عن الحجَّار هي السيدة عائشة، وقد تعجب ابن حجر من ذلك وقال:

«العجيب أن ست الوزراء كانت آخر من حدثت عن ابن الزبيدي بالسماع، ثم كانت عائشة آخر من حدَّث عن صاحبه الحجَّار بالسماع وبين وفاتيهما مائة سنة»[٢].

وهكذا بتعجب الحافظ ابن حجر من هذا الشأن العظيم الذي بلغته كلتا العالمتين، والذي بالتالي يُعدُّ وسام شرف للمرأة المسلمة العالمة التي حملت العلم ونشرته على مر الأيام والعصور.

وهذا أمر يدعو للعجب فكم كانت المرأة المسلمة العالمة إنسانة عظيمة حاملة للعلم وصانعة للعلماء!!

---

(١) أعلام النساء (٣/ ١٨٧).

(٢) شذرات الذهب (٩/ ١٧٨)، أعلام النساء (٣/ ٨٧).

٢٤ ـ عائشة بنت إبراهيم

هي أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق زوجة الحافظ جمال الدين المزي[١].

قال عنها ابن كثير: «العابدة الصالحة العالمة قارئة القرآن، كانت عديمة النظير في نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها وإقرائها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح يعجز كثير من الرجال عن تجويده، قرأ عليها من النساء خلق وانتفعن بها وبصلاحها ودينها وزهدها في الدنيا وتقللها منها مع طول العمر بلغت ثمانين سنة أنفقتها في طاعة الله صلاة وتلاوة»[٢].

توفيت عشية يوم الثلاثاء، فرحمها الله من عالمة عابدة زاهدة قارئة لكتاب الله خير الكتب.

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١٨٩).

(٢) البداية والنهاية.

obeikandl.com

٢٥ ـ فاطمة بنت فخراور الكنجي

هي العالمة أم الحسن وأم محمود، ولدت سنة ثمان وخمسين وستمائة وسمعت من عبد الرحمن بن يوسف المنجي جزء ابن ترتال، وعلي ابن علّاق جزء البطاقة، وعلي ابن عزون الجمعة للنسائي والناسخ لابن مرداس النحوي، وسمعت من آخرين وحدَّثت. وسمع منها الحلبي وغيره وماتت في نصف شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة[1].

(١) العبر في خبر من غَبَر (٦/ ٨٠).

obeikandl.com

٢٦ ــ زينب الأندلسية

هي زينب بنت الخليفة أبي يعقوب يوسف بن الخليفة أبي محمد عبد المؤمن بن علي. ولدت بالأندلس وتزوجها ابن عمها أبو زيد بن أبي حفص بن الخليفة، أخذت عن أبي عبد الله بن إبراهيم علم الكلام وغير ذلك وكانت عالمة صائبة الرأي معروفة بالتفوق على نساء أهل زمانها[١].

وهكذا كما برعت المرأة المسلمة في بغداد ودمشق ومصر، أظهرت نبوغها وعلمها في الأندلس السليب الذي حكمه المسلمون حوالي ثمانية قرون. وكان للمرأة المسلمة شأن عظيم في العلم فقد كان النساء يخرجن إلى المساجد في قرطبة وإلى سواه من معاهد العلم فيجلسن في حلقات الدروس منتقبات محتشمات[٢].

قال الأستاذ عبد الله عفيفي: «وقد ظهر من النساء عدد لا كفاء له في فنون من العلم والأدب، وكان لهن في تلك الحياة

(١) التكملة لكتاب الصلة لأبي عبيد الله بن أبي بكر القضاعي (٤/ ٢٦٣).
(٢) المرأة العربية ص١٢٩.

العاملة شأن نابه وشأو بعيد، ومنهن الشواعر والكاتبات والمحدثات والمتفقهات والمعلمات والمتطببات، وكان نساء الخلفاء والعظماء في غنى عن الأطباء بالطبيبات وعن المعلمين بالمعلمات»[١].

وهكذا كانت المرأة المسلمة وستظل دوماً عالمة متعلمة ما دامت تقتدي بالصالحات السابقات فرحمة الله على زينب الأندلسية وغيرها من مسلمات الأندلس السليب الذي قال عنه الشعراء: [البسيط]

يا آل أندلس لله دركمُ
ماءٌ وظلٌ وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد[*] إلا في دياركم
ولو تخيرت هذا كنت أختار

(١) المرأة العربية (٣/ ١٢٩).

(*) وقوله جنة الخلد مبالغة ولكنها تعبر عن روعة الطبيعة الأندلسية.

٢٧ ـ أم السلاطين

ومن الأندلس المفقود إلى المغرب الأقصى تطل علينا المرأة المسلمة العالمة والنساء العالمات فلم تكن المرأة المغربية بنجوة عما كان عليه العالم من علم، فقد تجاذبت أسباب العلم، وأكثر ما عُرف به الممتازات من نساء المغرب الأقصى حفظ القرآن الكريم ورواية الحديث ودرس الفقه والأصول وما إلى هذه من علوم الدين ويذكر أهل ذلك الإقليم ثمانين امرأة من نساء المغرب جمعن إلى النقاد في ذلك كله حفظ مدونة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وهي أكبر المطولات الجامعة في الحديث والفقه[1].

ومن أشهر النساء المغربيات العالمات في الماضي: السيدة أم السلاطين خناثى، قيل عنها: «كانت صالحة عابدة أصلَّت العلوم في كفلة والدها الشيخ بكار وقد رأيت [أي صاحب الاستقصاء] بخطها على هامش نسخة من الإصابة لابن حجر وعرف به بعضهم فقال: هذا خط السيدة خناثى أم

(١) المرأة العربية (٣/ ١٥٥).

السلطان المولى بلا شك»[١].

ومن النساء اللاتي اشتهرن بالعلم في الماضي القريب:

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس الناصري.

obeikandl.com

٢٨ ــ فاطمة الزهراء

ابنة السيد محمد بن أحمد الإدريسي، قال عبد الله عفيفي:

تحفظ القرآن الكريم بقراءاته. وتحفظ كثيراً من كتب الفقه والحديث ولها فوق ذلك صلة وثيقة بالعلوم العصرية. ولم تبارح دار أبيها قط وتخرجت على أبيها وجدّها[١].

وهكذا كان للمرأة المسلمة شأنها في كل مكان ربوع الدولة الإسلامية فكما جادت الشام والعراق ومصر بالعالمات كان للنساء في الأندلس والمغرب الأقصى نصيب من هذا العلم في الماضي البعيد والماضي القريب.

فهل لنا يا أختي المسلمة اللحاق بهذا الركب الطيب من أخواتنا المسلمات الحافظات لكتاب الله والعالمات والفقيهات والمحدثات، هؤلاء النساء اللاتي صنعن الرجال والعلماء عبر العصور المختلفة فكانوا خير نساء: «نساء صنعن علماء».

---

(١) المرأة العربية (٣/ ١٥٦).

٢٩ ـ دهماء بنت يحيى بن المرتضى

وقد نالت المرأة المسلمة درجة كبيرة في العلم والفضل وممن ذكرن بالعلم والفضل، السيدة دهماء بنت يحيى بن المرتضى أخت الإمام المهدي أحمد بن يحيى، وقد أوردها الإمام الشوكاني في كتابه البدر الطالع قال:

«عالمة فاضلة أخذت العلم عن أخيها وقرأت عليه هي والإمام مطهر، ولها مصنفات منها شرح للأزهار في أربعة مجلدات، وشرح لمنظومة الكوفي في الفقه والفرائض، وشرح لمختصر المنتهى»[١].

وقد دَرَّست للطلبة بمدينة «ثلا»[*] حتى ماتت ولها شعر رائع منه ما جاء في مدح كتاب أخيها الأزهار:

يا كتاباً فيه شفاء النفوس[٢]
انتجته أفكار من في الحبوس
أنت للعلم في الحقيقة نور
وضياء بهجة كالشموس

(١) البدر الطالع (١/ ٢٤٨).
(*) مدينة بأقصى المغرب معجم البلدان (٣/ ٢٣١).
(٢) المصدر السابق، والأبيات من بحر الخفيف.

٣٠ ـ صفية بنت المرتضى بن المفضل

أوردها الإمام الشوكاني في كتابه البدر الطالع وأورد في فضلها ما جعلني أضمها للمسلمات العالمات قال:

«كانت عالمة فاضلة لها مؤلفات وتزوجت السيد محمد بن يحيى القاسمي لأنه كان عالماً محققاً في علم الكلام فرغبت فيه لقصورها في ذلك الفن، فانتفعت به وانتفع بها في علم العربية»[١].

وهكذا كانت المرأة المسلمة كزوجة معلمة لزوجها ومتعلمة منه، فقد استفادت تلك المرأة الصالحة من علم زوجها بل رغبت فيه لما لديه من علم قد قصرت فيه، وما أجمل أن يكون دافع الزواج بغرض العلم وتعلمه فهذا فضل لا يُضاهيه فضل والأفضل منه ما ورد عن السيدة فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي[*] «صاحب تحفة الفقهاء» وكانت فقيهة علاَّمة حفظت التحفة لأبيها وطلبها جماعة من ملوك الروم،

(١) البدر الطالع (٢/ ١٠٤).

(*) انظر كتابي (نساء لها تاريخ) ص٢١٠ طبعة دار المعرفة، بيروت.

فلما صنَّفَ أبو بكر الكاساني الملقَّب «ملك العلماء» كتابه «البدائع» وهو شرح التحفة عرضه على شيخه وهو أبوها فازداد به فرحاً وزوّجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك فقالوا في عصره: «شرح تحفته وتزوَّج ابنته»[١].

وهكذا كانت المرأة المسلمة عبر كل العصور نموذج لطالبة العلم التي تبذل في سبيله كل نفيس والتي تفضل من يحمل العلم على من يحمل المال، فالعلم يبقى أما المال فإلى زوال:

العلم زينٌ وكثرٌ لا تفاد له
نعم القرين إذا ما عاقلاً صحبا
قد يجمع المرء مالاً ثم يُسَلبُهُ
عما قليل فيلق الذل والحربا
وجامع العلم مغبوطٌ به أبداً
فلا يحاذر قوتاً ولا هربا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه
لا تعدلن به درأ ولا ذهبا

(١) من أخلاق العلماء ص١٢٥. والأبيات من بحر البسيط.